مجلة كلية الآداب (دورية اكاديمية علمية محكمة)

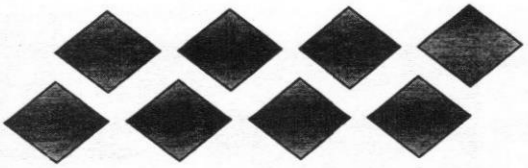

الحمامـــات في الشعر الصفوي

د .آمال حسين محمود

مدرس اللغة الفارسية وآدابها

بكلية الآداب بسوهاج - جامعة جنوب الوادي

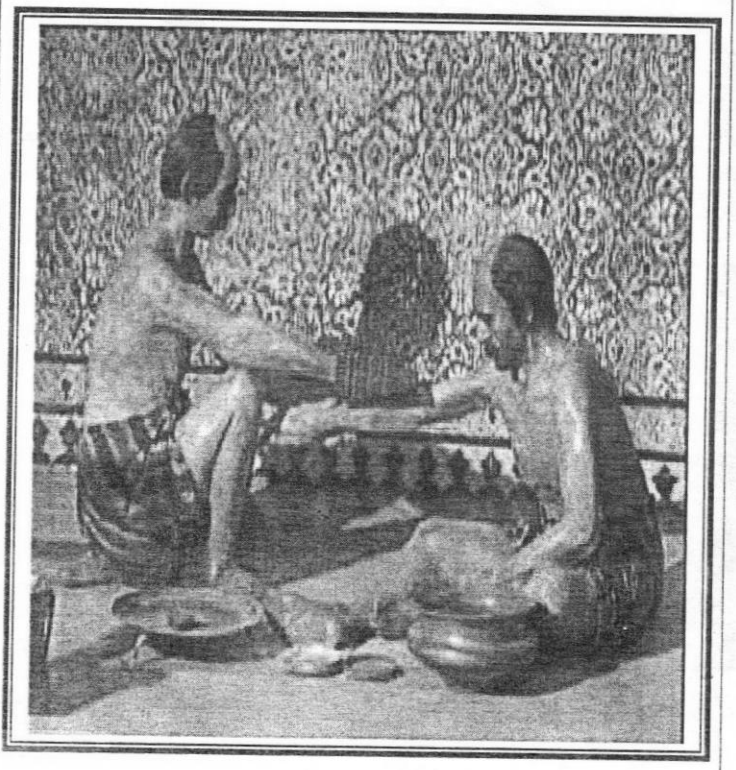

الحمامات في الشعر الصفوى

دكتورة : آمال حسين محمود
مدرس اللغة الفارسية وآدابها بآداب سوهاج

مقدمة

يمكن القول إن أعمال البناء والتعمير كانت قاسماً مشتركاً لملوك الدولة الصفوية ، ففي أوقات الضعف أهتم الملك بالبناء الداخلي ، وفي فترات القوة اهتم الملك بالبناء الداخلي أيضاً ليبين مدى قوته ويكون البناء انعكاساً لأعماله .

واختلفت دوافع النهضة العمرانية والفنية من ملك إلى آخر، فبينما كان دافع الشاه إسماعيل لبناء الأبنية الحكومية والقصور والمساجد والمدارس واستراحات القوافل ومراكز تجمع الجنود تأكيداً لسيطرته على هذه المناطق و لوجوده كقوة حاكمة .بينما كان دافع الشاه طهماسب تقوية المذهب الشيعي ونشره ، لذلك اهتم ببناء المنشآت الدينية كالمساجد والأضرحة والخانقاوات والتفنن في بنائها وزخرفتها ، لكن الشاه عباس كان يتمتع بقوة عسكرية وسياسية وذوق فني وأدبي ، جعله يهتم بالنهضة العمرانية ويركز على الجانب الفني في العمارة .

وحيث آن الأدب مرآة ينعكس عليها المظاهر الحضارية في الدولة ، فقد أثرت تلك النهضة الأدبية فى الشعر ، فوجدنا الشعراء يتحدثون عن القصور والمساجد والحدائق وغيرها من المنشآت المعمارية ، والحمامات فى العصر الصفوى كان لها مكانتها الخاصة فى المجتمع لذلك وجدنا الشعراء يختصونها بمنظومات كاملة فى دواوينهم ، وهذه الأشعار لم تدرس من قبل ، ولدراسة تلك الأشعار قُسم البحث إلى ثلاثة أقسام يسبقهم تمهيد ، وهى:

أولاً : الحمامات فى غزل الحرفيين (شهر آشوب).

ثانياً : الحمامات وفن الوصف .

ثالثاً : الحمامات وشعر التأريخ (حساب الجمل) .

وفى النهاية خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ثم قائمة بأهم المصادر التي اعتمد عليها .

تمهيد

اهتم الإيرانيون بالطهارة قبل وبعد الإسلام ، فأتباع مهر وزردشت قبل الإسلام اهتموا بها اهتماماً كبيراً ،فكلمة " پاديا " و " پادياوى " تعنى لديهم الغسل والوضوء والطهارة ومنذ ذلك الحين وكلمة پاتيو تطلق على المكان الذي تتم فيه الطهارة ، فكلمة (Patio) فرنسية عادت إلى الفارسية "پاسيو"[١].

ويطلق على الحمام اسم گرمابه ، وهى كلمة مركبة من گرم + آبه ، وآبه هنا ليست بمعنى الماء ، فكلمة گرمابه لا تساوى آب گرم ، فهي هنا بمعنى مكان كما في كلمة سردابه (مكان البارد) ، و گوربه " قبر " ، أي أن گرمابه هي المكان الذي يتم فيه الاستحمام وقضاء الحاجة[٢] .

وقد استخدم الفرس كلمة حمام العربية وجمعها حمامات ولكنهم يخففونها [٣]، وورد أن الحمام منسوب إلى سيدنا سليمان لأنه أول من أوجده[٤] .

والماء لدى الإيرانيين له قدسية خاصة ، لذلك كان الحمام في القدم عبارة عن بناء دافئ ، يوجد بداخله حوض من الخزف كبير يسمى "آبزن" [٥]، ودخلت تلك الكلمة العربية وأطلقت في عصر المماليك على حوض استحمام الملك .

وبمرور الوقت لم يقتصر دور الحمام على الاستحمام وقضاء الحاجة فقط ، وأصبح مكاناً للاسترخاء والراحة الجسدية ، وللاستشفاء من الأمراض ، أضف إلى ذلك أنه مكان يجتمع فيه الأهل والأصدقاء ويرتاده الملوك والأمراء ، ولذلك يجب عند بناء الحمام أن تتوافر فيه عدة شروط منها أن الحمام يتكون من أربع حجرات الأولى باردة جافة خالية من الماء ، والثانية رطبة تكون درجة الحرارة فيها أزيد قليلاً عن الأولى ، والثالثة بها

---

[١] – محمد كريم پرنيا : تدوين غلامحسين معماريان، معماري إسلامي إيوان ، ط٣ ، تهران ، ١٣٧٤هـ ش، ص١٩٧.

[٢] – محمد كريم پرنيا : تدوين غلامحسين معماريان، معماري إسلامي إيران ص١٩٧.

[٣] – على اكبر دهخدا : لغتنامه دهخدا ، تهران ، ١٣٣٤هـ ش ، ج٦، ص٨٠٧٥.

[٤] – حسين مجيب المصري : بين الأدب العربي والفارسي والتركي ، مكتبة الانجلو المصرية ، ط١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ص٥٠٨.

[٥] – محمد كريم پرنيا : معماري إسلامي إيران ، ص١٩٧.

بخار ماء ، والرابعة حارة جافة ، بحيث ينضج الجسم بالعرق حتى تقل رطوبته[1] .

ويجب مراعاة أن يكون هناك ممرات ودهاليز من بداية المدخل الرئيسي ، حتى لا يتعرض الجسد للتغير المفاجئ في درجة الحرارة فيصاب بالأمراض.وفى داخل الحمام حجرة تسمى الخلوة يختلي فيها الإنسان بنفسه ويستمتع بحمامات البخار ، وفى بداية الحمام هناك مكان خاص بخلع الملابس[2] .

وبمرور الوقت تغير الدور الوظيفي للحمام فأصبح يقام فيه الاحتفال بالمناسبات الاجتماعية السعيدة ، فمثلاً من العادات والتقاليد المتبعة في خراسان أن تذهب العروس إلى الحمام مع الأم وعدد من الصديقات، وتخضب العروس يديها وقدميها بالحناء ، وهن يتغنين بألحان خاصة من حولها ، وعلى كل حال بعد الاستحمام تخرج العروس من الحمام وهى ترتدى غطاء رأس وملابس خاصة ، وفى نفس الوقت الذي تكون فيه العروس في الحمام يكون العريس مع بعض أقاربه في حمام آخر يقوم بنفس العادات التي تمارس في ذلك اليوم[3] .

وحينما تحول الحمام إلى مكان للسمر والتفريح عن النفس قال عنه الشاعر :

- لو أن الرفيق عطوف يفي بالوعد ، يكون رفيق حجرة وحمام وحديقة[4] .

وحينما ازدادت أهمية الحمام ومكانته في المجتمع اهتم بذلك أيضاً الشعراء ، فنرى الرودكى يقول عن الحمام:

- سار الأستاذ عرياناً داخل الحمام وكان سميناً ممتلئاً وطيب اللحم [5].

---

[1] - حسين مجيب المصري : المصدر السابق ، ص ٥٠٨.

[2] -محمد كريم پرنيا : معماري إسلامي إيران ، ص١٩٨ ، ١٩٩.

[3] - ايرج افشار سيستانى : خراسان ، تهران ، ١٣١٩ هـ ش، ص٤٠٨.

[4] -اكَر رفيق شفيقى درست پيمان باش
رفيق حجره وگرمابه وگلستان باش
محمد كريم پرنيا : معماري إسلامي إيران ،ص٢٠١.

[5] - شد بگرمابه درون استاد غوشت
بود فربى وكلان وخوب گوشت
على أكبر دهخدا : لغتنامه دهخدا ، ج ١٢، ط تهران ، ١٣٣٤ هـ ش، ص١٦٨٤٧.

والرودكى هنا يحثنا على الذهاب إلى الحمام بطريق غـــير مباشـــر ، فهو يقول لا تكترث بالزيادة في الوزن والسمنة طالما أنك بين يدي ماهر في الحمام.

ويقول الفردوسي :

المدينة كلها ، حمام ونهر ونبع ماء ، إذ أنها للراحة واللون والرائحة[1] .

وفى هذا البيت يساوى الفردوسي بين الحمام والنهر وجدول الماء في الأهمية .

ويتجول بنا ناصر خسرو في رحلته في الحمام فيقول :

إذا ما دخل أمير حماماً ، فأنه يصبح خـــالي الذهـــن عـــن الملـــك والجـــاه والعظمة؟[2]

ويقول أيضاً عن الحمام :

بلا أدنى تعب تجمل الصورة ، على باب وعتبة وحائط الحمام .[3]

أما نظامي فيقول :

بعد أن أنقضى نصف الليل في النوم ، ذهب إلى الراحة فى الحمام .[4]

ويقول سعدى في "البوستان" :

سمعت أن بايزيد خرج من الحمام وقت الفجر فى ليلة العيد.[5]

ويقول سعدى أيضاً :

- ذات يوم انتقلت قطعة الطين الطيب الرائحة من يد محبوبى إلى يدى[6] .

---

[1] - همه شهر گرمابه ورود وجوى بهر بر زنى رامش ورنگ وبوى
المصدر السابق : نفس الصفحة .

[2] - ميرى بود آنكو چو بگرمابه در آيد
خالى شود از مملكت وازجاه وجلالش؟
المصدر السابق : نفس الصفحة .

[3] - صورت خوب بسى باشد بى حاصل بر و درگه گرمابه وديوارش
المصدر السابق : نفس الصفحة .

[4] - نيم شبى پشت بهم خوابه كرد روى در آسا يش گرمابه كرد
المصدر السابق : نفس الصفحة .

[5] - شنيدم كه وقتى سحرگاه عيد ز گرمابه آمد برون بايزيد
المصدر السابق : نفس الصفحة .

[6]- گلى خوشبوى در حمام روزى رسيد از دست محبوبى بدستم

كانت عادة القوم أن يأتوا بقطعة من الطين يسدون بها فوهة أبريق فى قاعـــه ورد ، ثم يوقدون النار تحته ، فيتصاعد من الورد بخار يحمل العطر فيتشـــربه الطيـــن ،

وقد ورد ذكر الحمام في الأمثال الفارسية أيضاً ومنها :

حمام زنانه : ومعناه : كحمام النساء ، ويضرب للدلالة على أن الجميع يتكلمون في وقت واحد .

*مثل حمام جن است :*معناه : مثل حمام الجن ، ويضرب للدلالة على كثرة الألتواءات وكثرة الممرات ، فهو بمعنى أن كل منهم أطول من الأخر .

*رستم در حمام :*معناه :رستم في الحمام ، يضرب للدلالة على أنه في اعتقادي أنك إنسان .

نقش در حمام : صورة في الحمام ، يضرب للدلالة على أن الأخرون جميعهم صور على الجدران .[1]

وإن كان الحديث عن الحمام ورد في أبيات متفرقة لدى شعراء ما قبل العصر الصفوى ،

فقد أفرد له شعراء العصر الصفوى منظومات برعوا في نظمها، وقد ورد الحمام في ثلاثة ألوان من فن البديع وهى :

١- شهر آشوب ٢- فن الوصف

٣- شعر التأريخ (حساب الجمل) .

وسوف نتحدث عن الحمام فى كل لون بالتفصيل .

=ويأخذ هذا الطين ويستخدم في الحمامات لتدليك الجسم .(حسين مجيب المصري : بين الأدب العربي والفارسي والتركي ، ص٥١٢.)

[1] - على أكبر دهخدا : لغتنامه دهخدا ، ج٦ ، ص٨٠٧٥.

الحمامات في غزل الحرفيين (شهر آشوب)

انتشرت المقاهي في إيران في العصر الصفوى تقريباً ولا يعلم بالتحديد تاريخ بداية ظهور المقاهي في إيران ، وقد انتشرت بشكل ملحوظ فى مدينة أصفهان .

وقد كانت للمقاهي أهمية خاصة في ذلك الوقت ، إلى حد أنه قد أنشئ مكان خاص للملك وضيوفه فى كل مقهى ، فيذكر نصر الله فلسفي : أنه فى ليلة الخميس السابع من رجب عام ١٠٢٨ هـ ق ، اصطحب الشاه عباس سفير ملك الهند "نور الدين محمد جهانگير " ، والسفير فيلب الثالث ملك أسبانيا والسفير العثمانى والسفير الروسى وجماعة من المسيحيين إلى مقهى فى ميدان " نقش جهان " بأصفهان . وقد كان فى ذلك المقهى حجرة مفروشة بالسجاد خاصة بالملك وضيوفه[1].

و كانت المقاهي أيضاً مكاناً يرتاده مختلف طبقات الشعب ، من أعيان ورجال البلاط وقواد القزلباش والشعراء والكتاب والرسامين والمثقفين والعوام ، للقاء الأصدقاء أو لممارسة الألعاب المختلفة وللتسلية والترفيه عن النفس أو للمناظرات الشعرية وسماع حكايات البطولات الإيرانية من الشاهنامه وغيرها من الكتب الحماسية الفارسية[2].

وانتشار المقاهي فى العصر الصفوى كان له تأثير كبير على الأدب فى تلك الفترة ، وخاصة على الشعر فقد أدى إلى ظهور بعض الظواهر الشعرية التى كانت موجودة من قبل ولكنها اتخذت شكلاً جديداً فى ذلك العصر ، ومن تلك الظواهر " شهر آشوب " وصف الحرف وغزل الحرفيين .

وهو تركيب وصفى ورد تعريفه فى " فرهنگ نويسان " بأنه وصف فى حسن وجمال ضجيج المدينة وفتنة الدهر ، أو فى مدح وذم الشعراء لأهل المدينة .

وأطلق على نفس النوعية من النظم أسماء أخرى مثل " شهر انگيز " لسيفى بخارى وأطلق عليها" صنا يع البدا يع" و " شهر آشوب " مولانا لساتى الشيرازى بعنوان " مجمع الأصناف" .

---

[1] – نصر الله فلسفى : تاريخ القهوة والمقاهى فى إيران ، دكتر سيد محمد دامادى : فارسى عمومى ، ط٢، ١٣٧٤ هـ ش، تهران ص٢٤٥.

[2] – المصدر السابق : ص٢٤٤.

ولم يستخدم للنظم فى شهر آشوب قالب خاص من قوالب الشعر الفارسى ، وكل ما وصل إلى أيدينا كان فى قالب القطع ، والقصيد والرباعى والمثنوى ، وأكثر شهر آشوب التى نظمها المحترفون كانت فى قالب الرباعى ، وكان مضمون تلك الرباعيات وصف الحرف ، فطغى قالب الرباعى على باقى القوالب ، أما التى كانت فى مدح وذم أهل المدينة كانت غالباً فى شكل القصيد والمثنوى[1] .

وكان للحمامات نصيب وافر فى " شهر آشوب" فيحدثنا حكيم فغفور لاهيجى[2] فى شهر آشوب التى نظمها فى بحر " مخزن الأسرار " و موضوعها فى وصف ديار الكرجستان وأهلها وأماكنها وحرفيها عن الحمام فيقول[3] :

-ابحث عن الصفاء داخل الحمام ، واعشق تلك الحورية قمرية الوجه.

-العاج أسير على صدرها ، والخبز اليابس قربانها القديم .

-كالمسيح يعيش فى تجريد ،و كالشمس تشرق فى الخلوة.

ومن أهم الصفات التى كان يوصف بها الحرفى فى ذلك النوع من النظم : شوخ"جرىء" ، ومه روى " قمرى الوجه " ومحبوب و بت" معشوق" و دلبرو دلدار" حبيب" ،وذلك لأن وصف الحرف والآلات وصفاً مجرداً فهو وصف جاف ليس به أى فن أو لطف ،فكان الشاعر يصور الحرفى على أنه غاية فى الحسن والجمال ، يثير فتنة المدينة بحسنه ،فهو المعشوق والعاشق والمحبوب ، وقد برع فغفور لاهيجى فى تصويره لعامل الحمام بأنه كالمسيح مجرد من أى غرض أو أى هوى!! .

---

[1] - أحمد گلچين معانى : شهر آشوب در شعر فارسى ، تهران ١٣٤٦ هـ ش ، المقدمة ص ٤،٥ .

[2] - هو حكيم مير محمد حسين فغفور لاهيجى من أفاضل وعلماء الأطباء فى عصره و والده سيد أحمد من المقربين للخان أحمد گيلانى ، وقد كان حكيم أستاذاً ماهراً فى الخط وعلم الموسيقى وكذلك قد وضعه أحمد گلچين معانى من ضمن أشهر الشعراء الذين نظموا " ساقى نامه" المصدر السابق ص٥١ .

[3] - صفت حمام

بر سر حمام صفا جوى شو — واله آن ماه پرى روى شو
عاج گرفتار بر سينه ا ش — قا قم قربانى ديرينه ا ش
همچو مسيحا در تجريد زن — تكيه بخلوتگه خورشيد زن

(أحمد گلچين معانى : شهر آشوب در شعر فارسى ، ص ٥٢.)

وينتقل فغفور لاهيجى من وصف الحمام إلى وصف الدلاك[1] فيقول :

- فرقة لحلاق منير الضمير ، فى هيأتهم معنى مساعدة الشيخ .
- يشرق الصبح من الليل شديد الظلمة ، كالدلاك الذى يجدد شباب الشيوخ .
- طهارته لأنه يبيع الماء والنار ، فهو يغسل الوجه ويخضب اللحية .
- آه من حمام يمنح الصفاء للروح ، وكأنه مجمع الخمر الصبوح .
- الحاضرون جميعهم أجسادهم عارية، كأنهم أطفال فى رحم أمهاتهم .
- الصبى الدلاك بكثير من الماء والحرارة ، يجعل السخونة والعرق كالنار فى الماء .
- خذ الإناء وتشبع بالإحساس ، واجعل الزهد والورع فى أناء واحد.
- التكية بجواره والسعادة فى داخله ، والشوق يتثاءب فى أحضانه .
- يده تقوم بالتدليك ويدك تضع المال فى الكيس[2] .

استطاع الشاعر من خلال نظمه أن يصف لنا رواد الحمام وكذلك الدلاك وما يقوم به من عمل ، فهو يدلك أجساد الرواد بالماء المتبخر ، وفى يده كيس مصنوع من الصوف ، بالأضافه إلى أنه يخضب لحاهم بالحناء ، كما أنه يصف لنا أدواته ، فالطاس يوضع به الماء الساخن بالحمام ، ولا ينسى أن يذكر لنا أن التكية التى تمتلىء بالزهد والورع بجواره ، فيختلط

---

[1] - يكون الدلاك فى مكان مخصص له داخل الحمام مستعداً لاستقبال رواده ، ويقضى معهم ما لا يقل عن ساعتين يقوم بتدليك أجسادهم بكيس مصنوع من الصوف مبلل بالماء الذى تبخر من شدة الحرارة ، كما يقوم بعمل حمامات بخار لرواده أيضاً .
(إدوارد پولاك ترجمة كيكاوس جهانداري : سفر نامه پولاك "إيران وايرنيان " ، ط٢ ، ١٣٦٨هـ ش ، تهران ، ص٢٤٥.)

[2] - فرقهء سلمانى روشن ضمير — صورتشان نايب معنى پير
صبح فروز شب مشكين خدان — مصلحت آموز كهن امردان
پاكى شان آب بآتش فروش — گازر رخسارهء پشمينه پوش
آه چه گرمابه صفا بخش روح — نشأ فزا همچومى اندر صبوح
آمده آبستن عريان تنان — همچو بطفلان رحم مادران
بچهء دلاك بصد آب وتاب — گرم وعرقناك چو آتش در آب
طاس بگير و مژه احساس كن — باورع وزهد بيك طاس كن
تكيه گه عيش برو دوش اوست — شوق بخميازهء آغوش اوست
مالش دستش بود ار دست مال — كيسه بپردازدت آن كيسه مال
(أحمد گلچين معانى : شهر آشوب در شعر فارسى ، ص٥٣.)

الزهد والورع بالصفاء والنقاء داخل الحمام ،وفى نهاية الأمر الدلاك بيده كيس يدلك به الأجساد ، وفى يده الأخرى كيس يضع فيه الرواد المال نظير العمل .

ومن أشهر الشعراء الذين نظموا فى " شهر آشوب " فى العصر الصفوى ، لسانى الشيرازى[1] ومنظومته "شهر آشوب " عرفت " بمجمع الأصناف " ، وهى عبارة عن رباعيات فى وصف وتعريف أرباب الحرف والصناعات اليدوية فى العصر الصفوى ، مع ذكر آلاتهم ومعداتهم ورسومهم ، وقد التزم فيها بأن جعل لكل حرفة خمس رباعيات وبيت مثنوى فى بحر الرمل المسدس المخبون الأصم نظمه لكل صنعة بدلاً من العنوان،وفى أحدى الرباعيات يصف عامل الحمام فيقول :

- فى وصف عامل حمام طاهر الطبع ، نقى ونظيف كحور الجنة .
- لو ألقى محبوبى عامل الحمام بالنقاب ، لألقى النار فى القلب والخراب فى الروح.
- فى كل لحظة يتدلل فيها قمرى القوام ، يتعرى ذلك الجرىء ويقفز فى الماء[2] .

وقد أكد لسانى أيضاً على أن عامل الحمام يجب أن يتصف بالحسن والجمال ، بالإضافة إلى الطهر والنظافة والنقاء .

وينتقل لسانى إلى وصف الدلاك فى منظومة مكونة من خمس رباعيات ، يسبقهم بيت مثنوى موحد القافية بدلاً من العنوان ، ويعتبر لسانى مبتكرا لهذا النوع من النظم ، فيقول :

فى وصف معشوق الخلوة الدلاك

---

[1] - هو وجيه الدين عبد الله لسانى بن محمد بائع المسك الشيرازى من شعراء النصف الأول من القرن العاشر الهجرى ، ولد فى شيراز وقضى أغلب حياته فى بغداد ،وأحد تلامذته شاعر معروف بشريف وقد نظم كتاب "سهو اللسان" فى هجاء لسانى ، وقد توفى لسانى فى عام ٩٤٢ هـ ق، ودفن فى سرخاب .
(ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات درايران ، از آغاز سدهء دهم تا ميان سدهء دوازددهم هجرى ، جلد پنجم ، ص ٦٣٦.؛ احمد گلچين معانى : مكتب وقوع در شعر فارسى ، انتشارات بنياد فرهنگ ايران ، ص٣٨٩.)

[2] - وصف حمامى پاكيزه سرشت
پاك وپاكيزه چو حوران بهشت
حمامى من اگر نقاب اندازد آتش بدل وجان خراب اندازد
هر دم بكرشمه ماهى اندامى را عريان كند آن شوخ ودر آب اندازد
(احمد گلچين معانى ص ١٥٨.)

فهو أساس السعادة لأرباب الحاجة

- تـعب قلبـــى من الصبـــى الدلاك ، فهو يحرق الوجود وترتعد آلامـى بسببه.
- بالأمس عرف شـريان روحـــى ، وآراحـــنى بتدليـــكه.
- أيها المحبوب الدلاك مع أنك لا تملك أى حقد ، فأنك توشم قلب العاشـــق القديـــم .
- وإن لم تصبح مرهم قلب العاشق الموشوم،فغاية اللطف أن تعالجه بالحب.
- فإذا خلى كيس المحبوب من الدنانير، فهو يجتهد للحصول علـــى الذهـب ليل نـــهار .
- طالما أنه مطيع وفى الخـــدمة فلا بأس ، ففى كيس الخلق كثـير مـــن الذهـب لـــه .
- الدلاك كالقمر ملاتكـى الوجـه ، أينما ذهبـــت فهو رفيقك .
- الذهب رفيقه فإذا لم يكن معك فى الخلوة ، لا يقـوم علـى خدمـــتك لأن هذه رغبتـــه .
- أيها المحـبوب الدلاك ما أجمـل تبخترك ، وما أجـــمل تـأثير وجـهك القمرى عـلى الـرأس والـروح .
- ما أجمل قوامك الفضى المختفى تحت الفوطة ، ما أجمـل لطـف البـدن ، فهو كالمرآة الفضية.[1]

برع لسانى فى وصف الدلاك فهو فتى بارع الحسن والجمال ، جسـده كالفضة مختفية فى الفوطة التى يلفها حول وسطه ، ووجهه كالبدر وأدواتـه

---

[1] - وصف دلاك بت خلوت ناز
مايهء عشرت ارباب نياز

دلاك بسز كه خسته دل بودم ازو — ميسوخت وجود رنج فرسودم ازو
دانسته گرفت دى رگ جان مرا — مالندگى كرد كه آسودم ازو
دلاك من ار مدار بر كينه نهد — داغى بدل عاشق ديرينه نهد ودر
مرهم داغ دل شود عاشق را — از غايت لطف سينه بر سينه نهد
گر دلبر كيسه مال بى دينارست — بهر زر و سيم روز و شب در كارست
غم نيست كه تا مطيع وخدمتكارست — در كيسهء مردم زر او بسيارست
دلاك پريچهره كه همچون ماهست — هر چند بهر كجا روى همراهست
زر همره خويش اگر بخلوت نبرى — خدمت نكند چنانچه خاطر خواهست
اى دلبر مالنده خرام توخوشت — برسر و روان ماه تمام تو خوشست
لطف بدن آينه فام تو خوشست — در فوطه نهفته سيم خام تو خوشست
(احمد گلچين معانى : شهر آشوب در شعر فارسى ، ص١٥٨..)

هى الكيس الذى يدلك به ، والطاس الذى يضع فيه الماء وكذلك الكيس الذى يضع به النقود . بالإضافة إلى أنه إنسان لا يحمل أى حقد ويوشم قلوب الجميع بالمحبة .

وفى رباعية أخرى يصف لسانى عامل الحمام فيقول : - - أيها الفضى يا نقد راحتى ، فصبى حمامى هو مرادى ورغبتى.

- قلت تحدث عن شكل وأحوال المنافسين ضحك قائلاً هم صورة فى حمامى.[1]

ويحدثنا " طالب آملى"[2] عن الدلاك فيقول :

-أيها الدلاك من حسن الحظ أن معجون إزالة الشعر، فى عام القحط الماضى لم يزل أى شعرة من أجسادنا.

- وجعل من كل شعرة فتيله لآلاف الأجراس تدق لنا.[3]

وقد عبر طالب آملى جيداً عن أدوات الدلاك ، ومنها " نوره " وهو معجون هندى لإزالة الشعر ، كان يستخدم فى الحمامات فى ذلك الوقت. ومن الأعمال الأخرى المرتبطة بالحمام ، التخضيب لحناء ويسمى من يقوم بهذا الأمر إذا لم يكن الدلاك ب " حنا تراش " ويحدثنا وحيد قزوينى[4] عنه فيقول :

---

[1] - حمامى

با سيمبرى كه نقد آرام منست حمامى من مراد خود كام منست
گفتم كه بگو صورت احوال رقيب خنديد كه نقش در حمام منست

(المصدر السابق : ص ١٦٢.)

[2] - طالب آملى هو : محمد طالب الاملى ولد فى عام ٩٧٨هـ ، فى قرية گرچك من توابع مدينة آمل بإقليم مازندران ، من الشعراء الذين هاجروا إلى الهند ووصلوا إلى مكانة عظيمة فيها ، فنال لقب ملك الشعراء فى بلاط جهانگير . وتوفى فى سنة ١٠٣٦هـ .

(طاهر شهابى : كليات أشعار ملك الشعراء طالب آملى ، تهران ، ١٣٤٦ هـ ش . المقدمة .)

[3] - دلاك سال قحط كهن نوره ئى كه داد
يكمو نكرد كم ز تن فال رنگ ما
از بهر جعد ساختن مو فتيله كرد
چندين هزار ز نگله بر جفت زنگ ما

(طاهر شهابى : كليات أشعار ملك الشعراء طالب آملى ، تهران ، ١٣٤٦ هـ ش ص ١٢٤.)

[4] - هو ميرزا طاهر وحيد قزوينى المتوفى سنة ١١١٠ هـ ق ، له مثنوى في بحر المتقارب باسم الشاه سليمان الصفوى ، في شهر آشوب معروف "بعاشق

في القصر عروس للعشاق ، تخضب وردية الوجه تلك بالحناء.[1]

وهكذا فقد استطاع الشعراء في العصر الصفوى وصف الحمام والحرفيين الذين يعملون بداخله وصفاً جيداً نستطيع من خلاله استقصاء شكل الحمام والحرفي وأدواته ومعداته ، ونوعية رواده بل وأيضاً ثمن و أجر عمله هذا ، بشكل لم نر مثيلاً له في دواوين الشعراء في العصور السابقة ، ويحسب هذا للشعراء في العصر الصفوى .

=ومعشوق" وله أيضاً أبيات عن" ساقى نامه " ويتخلص فيها برضوان . (احمد گلچين معاني : شهر آشوب ، ص٦٤.)

[1] - عروسيست عشاق را در سرا كه آن لاله رو مى تراشد حنا

المصدر السابق : ص٦٥.

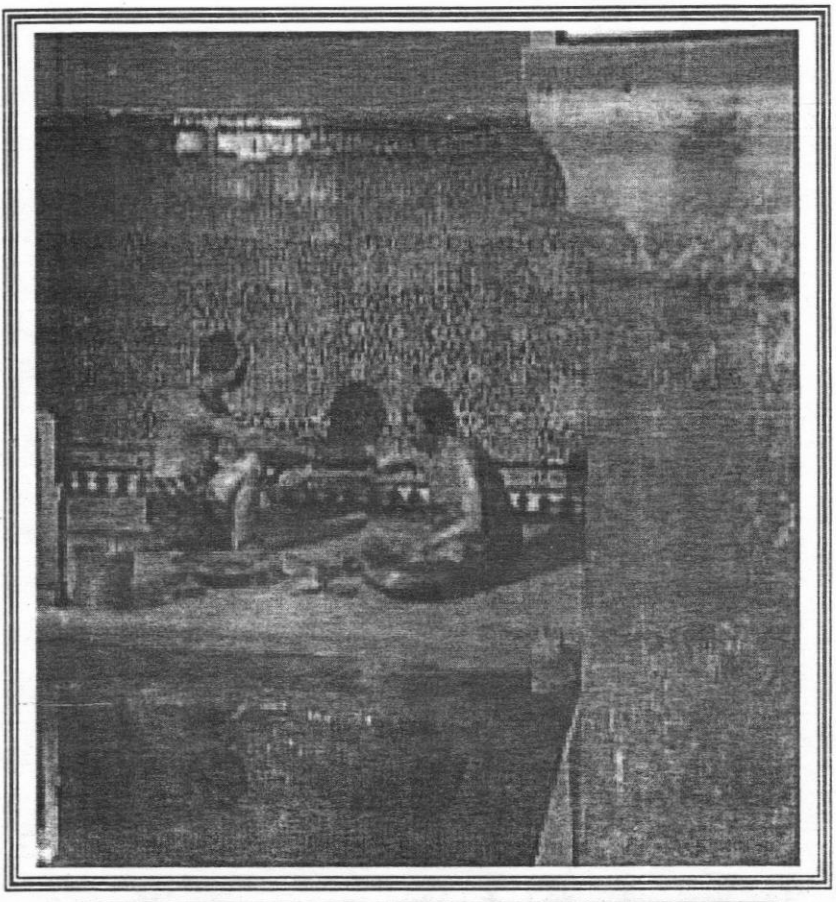

صورة للدلاك توضح طريقة قيامه بعملـــه والكيـــس المصنـــوع مـــن الصوف الذي يقوم بتليك الأجسام به ، الصورة من حمام قديـــم فـــى كاشان. المصدر CD تعليم الفارسية العامية ، تم الحصول عليها مـــن مكتب رعاية المصالح الإيرانية بالقاهرة.

الحمامات وفن الوصف

ينمو ويزدهر فن الوصف فى البيئات التى تتمتع بطبيعة خلابة تعمل على تحريك إبداعات وخيال الشعراء ، فنجدهم يجتهدون فى وصف تلك البيئات والتعبير عما تحثه فيهم من خيال وصور إبداعية .

وطبيعة إيران الخلابة بما تتضمنه من اختلاف الفصول الأربعة ، وتباين التضاريس وأشكال متنوعة تساعد على جذب الشعراء لفن الوصف على مدار العصور ، فيذخر الشعر الفارسى بكثير من القصائد فى فن الوصف ، ولكن هذا الفن كغيره من الفنون ينمو ويتطور طبقاً لتطور الشعر فى كل عصر . ومن أهم العوامل التى أدت إلى ازدهار فن الوصف وتطوره فى العصر الصفوى ، النهضة المعمارية والفنية فى ذلك الوقت فأصبحت الأعمال المعمارية والفنون الجميلة مجالاً خصباً للشعراء والفنانين ، فنجدهم يصفون المساجد والقصور والحدائق والأضرحة والأسواق [1] ، ولأول مرة يصبح للحمامات أيضاً نصيب وافر فى دواوين الشعراء تحت عنوان " التعريف بالحمام " أو " تعريف بگرمابه " ويعتبر ذلك الوصف سجلاً نستقى منه ذوق وحضارة العصر الصفوى ، ونرسم من خلاله صورة معمارية وفنية للحمامات فى العصر الصفوى .

فمثلاً حين نتحدث عن الشكل المعمارى للحمام يقول أبو طالب كليم[2] :

- سقفك فلك وزجاجك هو النجوم الثابتة المضيئة دائماً .
- وألوان زجاجك من على بعد ، كأنها مظلة طاووس جنة إرم .
- أنوار زجاجك تعكس سر الخلوة ، على رخام الأرضية فيظهر وكأنه سجاد ملون.[3]

---

[1] - محمد السعيد عبد المؤمن : الأدب فى العصر الصفوى ، القاهرة ، ١٩٨٤ م ، ص١٣١ ،١٣٢.

[2] -أبو طالب كليم هو :أبوطالب كليم ولد فى همدان ، وقضى مدة فى كاشان فعرف بالكاشانى لذلك،هاجر إلى الهند فى عام ١٠٢٦هـ ، ونال لقب ملك الشعراء فى بلاط شاهجهان ، وتوفى ودفن فى كشمير عام ١٠٦١ هـ .(شعبان ربيع طرطور : من أعلام الشعر والنثر الفارسى من الصفوى إلى الحديث القسم الأول ، ط سوهاج، ١٩٩٤م ،ص١٠٦.)

[3] - سپهر يست سقفت كه دارد مدام — فروزان نجوم ثوابت ز جام
ز الوان جام تو بر دور هم — زده چتر طاووس باغ ارم
سر خلوت از عكس انوار جام — ملون بساطيست فرش رخام

ومن خلال الأبيات السابقة نستطيع أن نعرف أن سقف الحمام عالى ، ويستمد ضوئه من خلال نوافذ من الزجاج الملون بمختلف الألوان حتى أنه يبدو كأنه جناح طاووس الأرضية مفروشة بالرخام حينما ينعكس الضوء عليه يظهر كأنه سجاد منقوش بمختلف الألوان .

ويحدثنا ظهورى ترشيزى [1] عن الشكل المعمارى من خلال تعريفه بالحمام فيقول :

نحت الأجر لجداره ، وداخله كمنجم ممتلىء بالفيروز.

وفيه الحسان قامتهم أعلى من شجر السرو ، ويحسده جناح الطاووس على جمال ألوان زجاجه.[2]

جدران الحمام مصنوعة من الآجر والزخارف بداخله كثيرة وجميلة ، والعاملون بداخله جميلى المحيا ، ونوافذه من الزجاج الملون بمختلف الألوان .

ويصف وحشى بافقى [3] الحمام فيقول :

- بناء كهذا الحمام جذاب للقلب ، الماء فيه يتصالح مع النار .[4]

استطاع المعمارى أن يبدع فى بناء وزخرفة الحمام فى العصر الصفوى ، وقد عبر الشاعر عن هذا تعبيراً جيداً لا يقل إبداعاً عن المعمارى .

=پرتو بيضائى: ديوان كليم كاشانى، ط كتابفروشى خيام ، ط٢، ١٣٦٩ هـ ش ، ص٤٠٢.

[1] -ظهورى ترشيزى هو : نور الدين محمد ظهورى ترشيزى ،من الشعراء الذين هاجروا إلى الهند ووجدوا شهرة كبيرة هناك ،توفى فى الهند عام ١٠٢٥هـ ، واشتهر كناثر أيضاً .(شعبان ربيع طرطوز : مصدر سابق ، ص٨٤.)

[2] - براى جدارش ز كاش تراش دل كان فيروزه اندر خراش
درو لاله رويان ببالاى سرو ز جامش نگه رشك بال تذرو
ظهورى ترشيزى : ديوان طبع حجر الهند ، ١٨٧٩م / ١٣١٥هـ ق ، ص١١٦.

[3] - وحشى بافقى هو : كمال الدين وحشى البافقى ، ولد فى بافق من توابع يزد عام ٩١٠ هـ ، رفض السفر إلى الهند وتوفى فى يزد عام ٩٩١هـ ودفن فيها . (لمزيد من التفاصيل عن وحشى أنظر أحمد الخولى : وحشى بافقى ، ط١ القاهرة ، ١٩٧٨م، ص١٧٤ ،١٧٥.)

[4] - بنا چون مى شد اين حمام دلكش كه آبش آشتى دارد به آتش
(محمد حسن سيدان : ديوان وحشى بافقى ، تهران ، ط٤، ١٣٧٧ هـ ش ،ص٢٦٦.)

وينتقل الشعراء من الشكل المعمارى إلى محتويات الحمـــام ، فيقـــول وحشى بافقى عن موقد الحمام :

شمس الدنيا المحرقة تحت الأرض ، موقداً شعلته تجعل مـــن حلكـــة الليـــل نهاراً[1].

من المعروف أن الموقد الخاص بالحمام كان يوجد فى طـــابق أســـفل الأرض ، وأنه كان هناك قانون بقطع أخشاب شجر الورد فى فصل الربيـــع ، وهذه الرياض يتم حرقها فى موقد الحمام لتسخين المياه [2].

ويحدثنا ظهورى ترشيزى أيضاً عن الحمام فيقول :

وهكذا رأى أن الحمام عالم ، ورياضه رفقاء فى الموقد .[3]

ويقول أبو طالب كليم عن الموقد :

القضاء يجلو مرآة العين برماد موقدك .

وطالما أن الحظ معك ، فإن شعلةِ موقدك لا تضطرب فى أى مركز.

ورواده يستفيدون من الموقد ، وكأنهم يصنعون ماء الورد من شوك الورد يارب لتكن العافية عار على عدوه ، ودفء الموقد لصديقه فقط[4] .

ومن خلال تلك الأبيات يوضح أبو طالب كليم أنهم بعد حرق أخشـــاب الورد فى الموقد، يستفيدون بالرماد فى جلاء العين ، ولذلك يكـــون المـــاء المستخدم فى الحمام كأنه ماء الورد ، ثم يدعو على عدو الملك بعدم دخـــول الحمام حتى لا يكتسب العافية ، فدفء وحرارة الحمام لا يجب أن تكون لغير الأصدقاء . وهى صورة فنية جميلة نستطيع من خلالـــها اســـتقصاء فوائـــد الحمام .

---

[1] – به تحت الارض خورشيد جهان سوز
به گلخن تابى او شب كند روز
(المصدر السابق : ص ٢٦٥.)

[2] – ظهورى ترشيزى : حواشى ص١١٦.

[3] – كه گرمابه ور دهر ديد اينچنين
كه گلشن ازو گشته گلخن نشين
(المصدر السابق : نفس الصفحة.)

[4] – ز خاكستر گلخن تو قضا بآينه ديده بخشد جلا
شد از گلخنت شعله تاكمياب دگر بهر مركز نكرد اضطراب
زخلقش چو گلخن شود بهره ياب بگيرند چون گل ز آخگر گلاب
عدويش كزو عافيت راست عار چو گلخن به تب باد پيوسته يار
(ديوان أبو طالب كليم ص ص ٤٠٢،٤٠٣.)

ومن خلال منظومات التعريف بالحمام يصف الشعراء الدلاك فيقول وحشى بافقى عنه :

- أهتم وابحث عن الدلاك ، حتى يعتنى بأمرك [1].

كان الدلاك يقضى ما يقرب من ساعتين مع كل فرد ، يقوم فيهما بتدليكه وعمل كل ما يلزم له . وقد استطاع الشعراء وصف الدلاك ، وأدواته ومعداته أكثر من خلال منظومات " شهر آشوب " كم ذكرنا سابقاً .

ولأن التصوف فى الشعر اتخذ شكلاً جديداً فى الشعر فى العصر الصفوى حتى يستطيع أن يعبر عن التغيرات التى حدثت فى الدولة، وقد ظهر الشكل الجديد فى التصوف فى منظومات الشعراء عن الحمام ، فأخذ البعض يصور رواد الحمام على أنهم جماعة من المتصوفة ، يتعبدون داخل الخانقاه ، بل ويصورهم الشعراء فى خشوعهم إلى درجة أعلى وأقوى من المتصوفة .فينظم ظهورى ترشيزى فى منظومته عن الحمام :

- يتساوى فيه الملك والشحاذ ، والشيخ فى هذه الخانقاه متجرد .
- إن العشق الذابل للزهاد سرعان ما يتجدد بخلوة الحسان .
- وحينما يحل الصفاء محل الخوف ، يتركون أسرار الألم فى المنزل.
- ليست هناك قوة أكبر من ماء الحياة ، ففيه الوجه بلا ساعد أو ساق .
- و طالما لا يكف الفم عن الحديث ، فالكلام لا يتلوث [2] .

يصور الشاعر الحمام وكأنه خانقاه يتساوى كل من فيها، الملك والشحاذ على نفس الدرجة لأنهم جميعاً اختاروا التجرد من الملابس ، والمقصود بالتعرى هنا ليس التجرد الحسى بل التجرد المعنوى ، فهو تجرد من الدنيا والشرور والآثام ، والعلائق الدنيوية. وعن هذا يقول أبو طالب كليم :

- كل من يمر بك يخلع رداء العلائق ويلقى به .
- فصرير بابك يقول لأصحاب التجرد وأهل الترك آداب الترك.

---

[1] - توجه كن به دلاك هدايت — كه آيد بر سر كار عنايت
(ديوان وحشى بافقى : ص٢٦٦.)

[2] - گدايان وشاهان درو همكلاه — تجرد بود پير اين خانقاه
هوسهاى پژمردهء زاهدان — تر وتازه از جلوهء شاهدان
چنان صاف كز بيم افشانست — كذارند در خانه درهاى راز
ز آب خضر طاقتى طاق نيست — وروبه ز آلودگى بر نيايد سخن
ازو تا نشويد سخن در دهن — ز آلودگى بر نيايد سخن
(ديوان ظهورى ترشيزى : ص١١٦.)

- فالترك والتجرد بهذا الشكل غير موجود فى الصومعة ولا فى الخانقاه .
- بسببك اكتساب الطهر امتياز يسبق أداء الصلاة .
- أساس التجرد والارتقاء هو ألا تملك سوى اعتدال الهواء.
- خلوتك فى الصفاء كالحباب ، الماء والحرارة فيها تجعل الجسم كله طراوة .
- كل شخص له خلوة فى مسكنك ، يتصبب عرق الراحة على جسده فيها[1].

ومن الأبيات السابقة يتضح لنا أن التجرد والترك ، ليس التجرد من الملابس وتركها خارج الحمام فقط ، بل التجرد من العلائق الدنيوية وترك الدنيا والدنس حتى يصفو الإنسان ويرتقى إلى الدرجات العليا ، كما أن اكتساب الطهر قبل الصلاة يكون بالوضوء والاغتسال . ويؤكد وحشى بافقى على هذا فيقول :

- الطواف بأعتاب شيخ الحقيقة ، لا يجيز عدم الغسل فى الطريقة .
- لو أردت أن تسلك طريقاً خاصاً فى الخلوة ، عليك أن تسأل أولاً عن حمام الإخلاص .
- معاذ الله ، ما أبهاه حمام مباركاً ، فماؤه ماء الحياة للأيام .
- بسبب ذلك الفيض هواء خلوة الورد كأنه هواء خلوة القلب .
- فيه الطهر لعين المبصرين ، وصفاء الذهن للجالسين فى الخلوة .
- وبجواره فى كل جانب ، سد فيض لتربية الروح[2] .

---

[1] - بسويت گذر هر كه افكنده است — لباس علايق ز بركنده است
باربا ب تجرد واصحاب ترك — صرير درت گفته آداب ترك
چنين ترك وتجرد واين رسم وراه — نه در صومعهاست ونه خانقاه ز تو
كسب پاكى بر امتياز — مقدم بود بر اداى نماز
تجرد اساس ورخت سرا — نداری بجز اعتدال هوا
بود خلوتت در صفا چون حباب — سرا پا طراوت تمام آب وتاب
هر آنكس كه شد خلوتت مسكنش — عرق تخم راحت شود برتنش
(ديوان أبو طالب كليم : ص٤٠٢.)

[2] - طواف درگه پير حقيقت — أجازت نيست بى غسل طريقت
اگر ره بايدت در خلوت خاص — بپرس اول ره حمام اخلاص
معاذ اله زهى فرخنده حمام — كه آبش هست آب روى ايام
از آن فايض به خلوتخانهء گل — هوايى چون هواى خلوت دل
برونش را به چشم پاك بينان — صفاى خاطر خلوت نشينان
برونش را براى تربيت روح — به هر جانب در سد فيض مفتوح
(ديوان وحشى بافقى : ص٢٦٥.)

وهكذا يمزج وحشى بين مشاعر الراحة والرفاهية والمتعة الموجـودة داخل الحمام ، والمشاعر الروحانية وما تسببه للإنسان من راحـــة ومتعـة داخل الخانقاه التي تجاور الحمام .

ويستمر وحشى في هذا المزج من خلال منظومته عن الحمام فيجعـل الحجر التركي المستخدم فى تنظيف القدم حجر الرحمة والتخلص من قيـــود الدنيا فيقول :

- اطلب الحجر التركي لتطهر القدم ، من قبضة وقيود عالم التراب .
- تطهر بحجر الجود والرحمة ، ولا تكون أسير قيد أكون أو لا أكون .[1]

ويجد وحشى الحديث عن الطهر والنقاء فرصة لنقد رجال الدين فـــي عصره ، فيحاول أن يبث فيهم بعض الأخلاق الحميدة ، وينصحهم بالبعد عن مظاهر الدنيا والبحث عن الباطن ، والحفاظ على مكانتهم الدينية ، فيقول :

- اعقد حزام الأمل الضعيف ، وافتح باب الطمع بسرعة .
- افتح قيد عباءة النفس ، واخلع رداء النفس الأنانية .

الق العجب والظن من العمامة ، ولا تأت والجسد في الجبـــة والـــرأس فـــى العمامة .

العلائق فى الداخل وليست بالخارج ، فاعقد فوطة تجرد العاشقين.

أخرج من صفوف المتعالين ، واذهب إلى الخلوة وحيداً.

رطب العين بالبكاء، وتطهر لو تلوثت .

وحينما تغسل النفس من لوح الأماني ، اعتذر بالبكاء.

من ليست له قدم فى مجمع أهل الصفاء ، لا تمنح روحه الصفاء.

أنظر جميعهم عميان عن النفس ، عارين من الملابس .

عاريين من الجبة والعباءة ، عاريين عن العادات والتقاليد .[2]

---

[1] - به سنگ ترك كن پاى طلب پاك ز چنگ قيدهاى عالم خاك
كشد بر سنگ رحمت پاكى جود ترا شد موى قيد بود ونا بود
(ديوان وحشى بافقى : ص٢٦٥.)

[2] - كمر بند امل را عقده كن سست ميان آز بگشا چابك و چست
گشا بند قباى خود نمايى برون آ از لباس خود ستايى
بنه از سر كلاه عجب وپندار ميا را تن به جبه ، سر به دستار
علايق از ميان نه بر كرانه بزن لنگ تجرد عاشقانه
برون آ از صف بالا نشينان برو تا خلوت تنها نشينان
بريز آبى ز آب چشم نمناك وگر آلايش دارى بشو پاك
چو خود را شستى از لوح مناهى ز آب گريه هاى عذر خواهى

ونستطيع أن نجمل عدة أوصاف مشتركة ، ظهرت من خلال وصف الشعراء فى العصر الصفوى للحمام وهى :

١- الشكل المعمارى للحمام ، بناء عالى يستخدم فيه الرخام والمرمر ، والنوافذ من الزجاج الملون .

٢- يوجد داخل الحمام قبل حجرة البخار مكان خاص بخلع الملابس .

٣- الموقد واستخدام أخشاب أشجار الورد لحرقها وتسخين المياه .

٤- حمام البخار داخل الحمام يمد الإنسان بصفاء الذهن والراحة والإحساس بالانتعاش ، كما أنه دواء لكثير من الأمراض.

٥- الدلاك وعامل الحمام عمليهما التدليك و التخضيب بالحناء، والتخضيب بالحناء اشتهر به الإيرانيين فى هذا العصر به وتحدث الراحلة عنه كذلك .

٦- الفوطة التى يلف بها الدلاك جسده بالإضافة إلى الكيس المصنوع من الصوف الذى يدلك به ، وكيس النقود ، والطاس الذى يوضع به الماء الساخن للتدليك و حجر التدليك التركى .

قدم در مجمع اهل صفا نه برای خویشتن حانی صفا ده
گروهی بین همه از خویشتن عور ز خود کرده لباس عاریت دور
همه از جبه ودستار عاری برهنه از رسوم اعتباری

ديوان وحشى بافقى :ص٢٦٥.

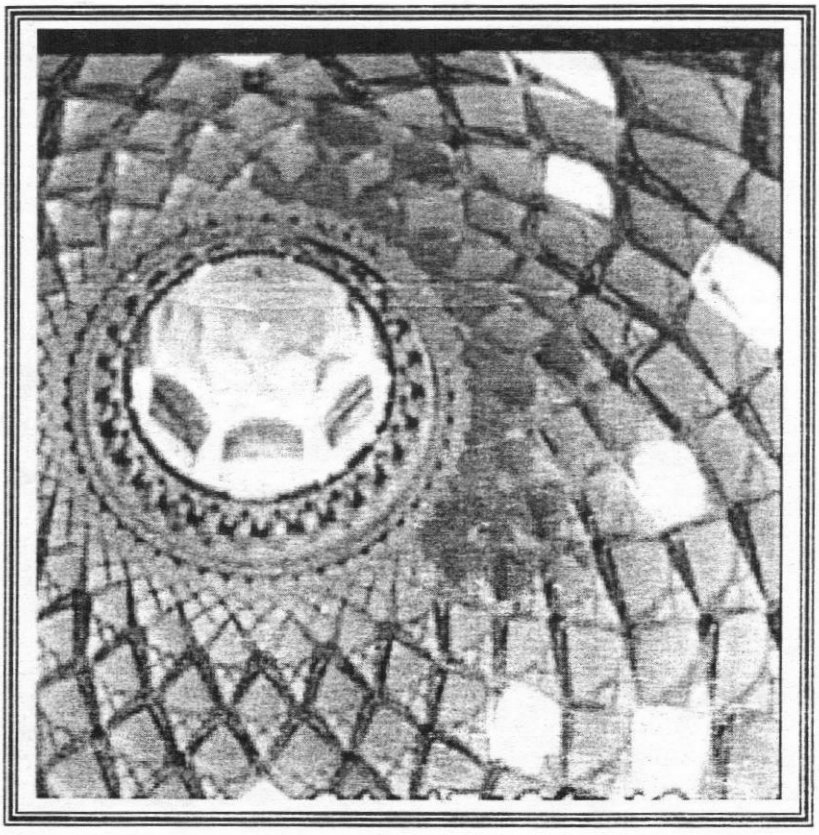

صورة للحمام الكبير بحديقة باغ فين بكاشان توضح مصـــدر الضـــوء للحمام وهو مصنوع من نوافذ زجاجية ملونة .

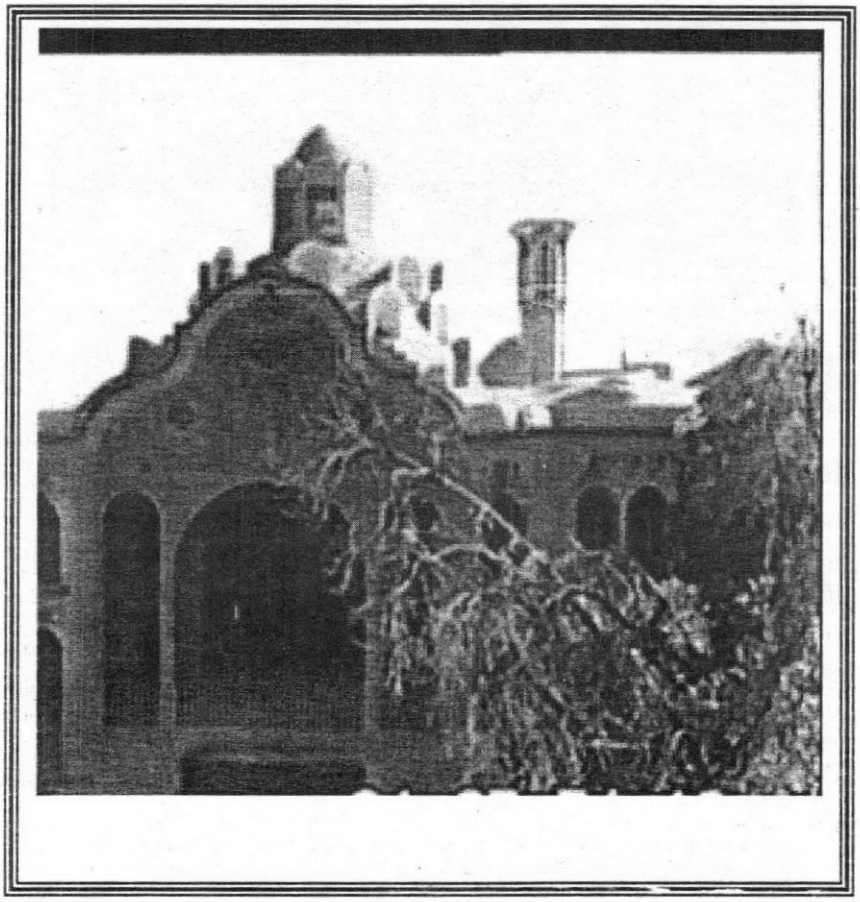

واجهة الحمام الكبير في حديقة باغ فين بكاشان

الحمامات في شعر التأريخ

افتتن معظم شعراء العصر الصفوى بلون من فن البديع ، يسمى شعر التأريخ أو (حساب الجمل) وهو تركيب إضافى يحسب بالحروف الأبجدية فى ثمانى كلمات هى : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ . ولا يتم الحساب طبقاً لترتيب الحروف والأرقام . وهى كالتالى:

الآحاد	العشرات	المئات	الآلاف
أ ١	ى ١٠	ق ١٠٠	غ ١٠٠٠
ب ٢	ك ٢٠	ر ٢٠٠	
ج ٣	ل ٣٠	ش ٣٠٠	
د ٤	م ٤٠	ت ٤٠٠	
هـ ٥	ن ٥٠	ث ٥٠٠	
و ٦	س ٦٠	خ ٦٠٠	
ز ٧	ع ٧٠	ذ ٧٠٠	
ح ٨	ف ٨٠	ض ٨٠٠	
ط ٩	ص ٩٠	ظ ٩٠٠	

وفيه يؤرخ الشعراء للأحداث السارة أو الفواجع ببيت أو بيتين من الشعر بحساب الجمل يتساوى بعام ذلك الحدث أو وقت ذلك الحدث.

ويختم الشعراء قصائدهم بأبيات التأريخ أو ينقشوهما على المنشآت المعمارية كالقصور والمساجد والمدارس والأضرحة فتصبح الأبيات النص التأسيسى للمنشأة المعمارية .

وظهر هذا الفن أولاً عند الفرس ثم انتقل إلى الترك ومنهم إلى المصريين[1] .

ويقال إن لدى الشيعة كتباً أخرى غير القرآن الكريم ، لها مكانتها وقدسيتها لديهم ومن هذه الكتب (الجفر)[2]، وهو يحتوى على حساب الجمل

---

[1] – محمد بن فهد الفعر : التأريخ بحساب الجمل ، مجلة الدارة ، العدد الرابع السنة الحادية والعشرون ، رمضان ١٤١٦ هـ / السعودية ، ص٤٣.

[2] – الجفر هوكتاب خاص بالشيعة بروايات متعددة إليهم ، وكل رواياته إنما تركز على أن الشيعة فى درجة الأنبياء والمرسلين ، بل يرفع درجة علمهم إلى العلم الإلهى(زكى محمد أبو سريع :الشيعة ومنهجهم فى التفسير ، ط الجيزة ، ١٩٩٧ م ،ص ١١٦) . وهو علم يبحث فى الحروف من حيث دلالة بنائها المستقل ، ويعرف بعلم الحروف ويطلقون عليه أيضاً علم التكسير ، وهذا العلم يستخدم أحياناً لفهم الخطاب المحمدى لمن لا يعرف العربية ، وينبأ بالأحداث

، وعلى أرقام تدل على تنبؤات بالحوادث إلى قيام الساعة ، وقيل كذلك أن الأئمة من أبناء على كانوا يتوارثون هذا الكتاب جيلا بعد جيل لأنهم يحكمون به .

وكان لدى الطرق الصوفية ، وخاصة الشيعة منها بعض المعتقدات التى ظهرت من خلال الكتابات الأثرية على العمارة ، فقد كانت بعض الطوق الصوفية تستخدم الحروف كرموز وطلاسم فهم يؤكدون على طابع التوازى والتقابل بين الحروف والأعداد على نحو رمزى ، وهو طابع أخذت به المذاهب الشيعية وأحالوا فيها إلى الجفر .

ويقال إن من هذا الطابع نشأ فن حساب الجمل ، الذى استخدم بكثرة فى النصوص التأسيسية على المبانى فى العصر الصفوى[1] . فلدى فرق الصوفية والمذاهب الشيعية يرمز كل حرف إلى رقم معين يرتبط به ويحمل دلالته ، فالحرف ألف يرتبط بالرقم واحد حيث أنه يقابله فى حساب الجمل ، ويرمز بحرف الألف إلى الله تعالى فهو الواحد ، كما أن الشيعة يأولون الكلمات إلى أعداد تتطابق مع معتقداتهم فشهادة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله – الشهادة الأولى تحوى أثنتا عشر حرفاً ، والشهادة الثانية كذلك اثنى عشر حرفاً ، وهم عندهم عدد الأئمة الأثنى عشرية[2] .

وتميز شعر التأريخ فى العصر الصفوى ببعض الخصائص أهمها ما يلى :

١ – يذكر الشاعر كلمة تاريخ العربية فى البيت السابق على بيت التأريخ أو فى الشطرة الأولى من نفس البيت إذا كان سيكتفى ببيت واحد .

٢ –يؤكد الشاعر التاريخ بكتابة العام بالأرقام بخط صغير أسفل بيت التأريخ فى بعض الأحيان .

=إلى يوم الساعة ، والجفر والجامعة عبارة عن كتابين فى تفسير حوادث إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام ، على طريقة الحروف ، وهذان الكتابات تتوارثهم الأئمة ويستخرجون منهم الأحكام والشرائع التى يعملون بها ، واستفاد شيوخ المغاربة من هذا العلم وينسبون معلوماتهم لآل البيت (على أكبر دهخدا : لغت نامه دهخدا ، شماره ٤٦، تهران ١٣٣٨هـ ش ، حرف ج ، ص٥٠.

[1] – عادل عبد المنعم سويلم : الاتجاهات العقائدية والفكرية فى العصر الصفوى وأثرها على الفنون الإسلامية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٤م ، ص٢٠٤.

[2] – عادل عبد المنعم سويلم : الاتجاهات العقائدية والفكرية فى العصر الصفوى ، ص٢٠٥.

٣-فى بعض الأحيان يقوم الشاعر بتخفيف الكلمة للوصول إلى الرقم المطلوب فمثلاً فعل بود يكتب " بد " وهو ما يسمى بالتجاوزات الشعرية .

٤-يستخدم الشعراء الفرس الحروف العربية فقط فى حساب الجمل ،فإذا جاء بكلمة فيها أحد الحروف الفارسية مثل "گشوده" فإن الحرف الفارسى ال " گ " يساوى فى القيمة العددية الحرف ك العربى ، وكذلك پ = ب، چ = ج ، ژ = ز .

٥- لا تحسب همزة الإضافة مطلقاً .

٦- إذا جاء الشاعر بكلمة بگو أو بر گو فى نفس شطرة التأريخ لا تحتسب .

٧- فى بعض الأحيان يسجل الشاعر فى هذه الأبيات أسمه وأسم الممدوح وكذلك اسم الخطاط الذى نقش الأبيات على النص التأسيسى .

٨- يستخدم الشعراء الفرس الترتيب الأبجدى فى حساب الجمل ، طبقاً للترتيب المشرقى وليس المغربى ، فهناك اختلاف فى قيمة بعض الحروف طبقاً للترتيب بين الاثنين ، والجدول التالى يوضح هذا الاختلاف .

جدول ترتيب الحروف الأبجدية فى حساب الجمل طبقاً للترتيب المشرقى

أ ١	ب ٢	ج ٣	د ٤	هـ ٥	و ٦	ز ٧	ح ٨	ط ٩
ى ١٠	ك ٢٠	ل ٣٠	م ٤٠	ن ٥٠	س ٦٠	ع ٧٠	ف ٨٠	ص ٩٠
ق ١٠٠	ر ٢٠٠	ش ٣٠٠	ت ٤٠٠	ث ٥٠٠	خ ٦٠٠	ذ ٧٠٠	ض ٨٠٠	ظ ٩٠٠
غ ١٠٠٠								

جدول الاختلاف بين المشارقة والمغاربة[1]

الحروف المختلفة	عند المشارقة	عند المغاربة
ص	٩٠	٦٠
ض	٨٠٠	٩٠
س	٦٠	٣٠٠
ظ	٩٠٠	٨٠٠
غ	١٠٠٠	٩٠٠
ش	٣٠٠	١٠٠٠

حمام ملا قطب

وقد كان للحمامات نصيب ليس بالقليل من شعر التأريخ لدى كثير من شعراء العصر الصفوى ، فمحتشم الكاشانى[2] يسجل لنا تاريخ بناء أحد الحمامات القديمة فى كاشان ، ويعرف بحمام (ملا قطب) من أبنية القرن العاشر الهجرى ، بناه مولانا قطب الدين محمد من العلماء والعارفين المشهورين فى ذلك الوقت فيقول عنه :

-قطب الزمان سمى النبى بحر الجود ، الذى يمد المحتاجين يديهم إليه.

- حينما فكر الخادم الطاهر لسيرته العطرة المباركة ، فى هذا البناء المبارك.

- لمعرفة تاريخ كتابة هذه العبارة نقش (حمام طاهر مبارك) ٩٦٦هـ.[3]

---

[1] - محمد اليعلاوى : حساب الجمل والتأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثامن ، تونس ، ١٩٧١م،ص٩٧،٩٦.

[2] - ومحتشم الكاشانى هو : كمال الدين على بن السيد نصير أحمد ، ولد فى كاشان ، اشتهر بأثنى عشر تركيب بند نظمها فى رثاء الحسين ، وتوفى ٩٩٦هـ (شعبان ربيع طرطور : مصدر سابق ص٥٢.)

[3] -قطب زمان سمى نبى آنكه بحر وكان
پيشش كف نياز بدر يوزه داشتند
خدام پاك طينت فرخنده سيرتش
همت براين خجسته بنا چون گماشتند
تاريخ آن كتيبه نگاران نكته دان
(حمام طاهر متبرك) نگاشتند = ٩٦٦

(حسن نراقى : آثار تاريخى شهر ستانهاى كاشان ونطنز ، سلسله انتشارات انجمن أثار ملى ٦٣، تهران ،ص ٢٩٨.)

وبحساب جملة التأريخ وهى "حمام طاهر متبرك" = عام ٩٦٦هـ ، وقد ذكر لنا محتشم اسم الممدوح وهو مولانا قطب ، وقد وصفه بالأوصاف الحسيه التى اشتهر بها شعراء العصر الصفوى ، فهو كثير الجود ، مبارك ، سمى النبى .

حمام عبد الرازق خان

وينظم "صباحى بيدگلى"[1] قطعة مفصلة فى تاريخ بناء حمام (عبد الرازق خان) ويوجد فى سوق كاشان الكبير ، فيقول فى بيت التأريخ :

- وفى النهاية جاء صباحى ونظم فى تاريخه ،(خلد هذا الحمام فى العالم بعيداً عن الدنس)[2] ١١٨٧.

وبحساب شطرة التأريخ (از اين حمام عالم شد برى جاويد ز آلايش) ١١٨٧= ١١٨٨.

وفى كثير من الأحيان يأتى هذا الخطأ البسيط لأن الحمام أمر ببنائه فى نهاية عام ١١٨٧هـ ، وحينما نظم الشاعر القطعة بعد أن انتهى البناء من بناء الحمام كان ذلك فى بداية عام ١١٨٨هـ ومن هنا ورد الخطأ.وقد حرص الشاعر على ذكر تخلصه فى بيت التأريخ .

حمام نو

وفى أصفهان نجد النص التأسيسى لحمام" نو" - وهو من أقدم الحمامات العامة فى أصفهان - الموجود أعلى باب الواجهة محفور عليه بخط نستعليق (قل كل يعمل على شاكلته ، فى سنة ١٠٥٥)، وعدة أبيات تنتهى ببيت التأريخ يقول فيها الشاعر :

- فى عهد الملك العادل ، غلام الفلك ، سهيل الطلعة ، بهرام المكان ، كيوان أرم .

---

[1] - هو حاجى سليمان بيدگلى كاشانى ، من شعراء القرن الثانى عشر المشهورين وبداية القرن الثالث عشر (١٢١٨ هـ ق / ١٨٠٣ م) ، ولد فى قرية من أعمال كاشان ، ومدح السيد محمد خان القاجارى ويشتمل ديوانه على قصائد وتركيب بند وغزليات ومراثى ورباعيات ، وقد نظم صباحى مرثية فى أربعة عشر بند مقلداً فيها كليم .(محمد معين : فرهنگ معين ، ج٥ ، أعلام ، تهران ، ١٣٧٨ هـ ش ، ص ٩٨٠) .

[2] - بپايان آمد وگفتا صباحى بهر تاريخش
(از اين حمام عالم شد برى جاويد ز آلايش)
١١٨٧
(حسين نراقى : أثار تاريخى شهرستانهاى كاشان ونطنز ، ص ٢٩٩.)

- ملاذ السلطنة ، ملك الدين ، الشاه عباس ، الشاب سعيد الحـــظ ، الملـــك جمشيد الكأس.
- بناه ذلك الضعيف لوجه الصدق ، وبكل همته قدمه للخاتم .
- تقبل الله من هذا الضعيف هذه الخيرات ، فقد اجتهد فى السعى والتعمـــير و إتمامه .
- بناه أستاذ ماهر بالطوب اللبن ، اليمن برفقته ، أفريدون الاسم .
- ومن كثرة لطافة الماء والهواء فيه، أوقف الطرب ملـــك الفلـــك الرابـــع بالكأس.
- رأي أن رضاء الحق فى بناء ذلك البناء ، وأوقفه فى هذه القريـــة علـــى الخواص والعوام .
- وأنت أيضاً حينما تسعد فى جنباته ، قل ليوفق الحق تعالى بانيه.
- وحينما تم هذا البناء قال فى تاريخه ، هذا الحمام مكـــان وحجـــرة أهـــل الصفا[1] .

---

[1] - به دور پادشه عادل سپهر غلام
سهيل طلعت وبهرام جاه وكيوان رام
پناه سلطنت و ملك شاه دين عباس
خدايگان جوانبخت وخسرو جم جام
ز روى صدق بنا كرد آن ضعيفه كه بود
به همت از همهء خويش پيش ، خانم نام
خدا قبول كند زان ضعيفه اين خيرات
كه جهد كرد به تعمير وسعى در اتمام
بناى خشت وگلش شد به دست استادى
كه يمن آمده همدست آن فريدون نام
ز بس لطافت آب هوا به پاى طرب
ستاده خسرو وچارم فلك كه گردد جام
رضاى حق چو درين ديد اين عمارت ساخت
نمود وقف درين قريه بر خواص وعوام
تو هم ز قيد جنابت چو خرمى يابى
بگو كه بانيه يابد ز حق تعالى كام
چو شد تمام بنا گفت از پى تاريخ
محل وحجرهء اهل صفا ست اين حمام
(ايرج افشار : يادگارهاى يزد ، جلد اول ، ط تـــهران ، ١٣٤٨هـــ ش ، ص٤٥٢،٤٥٣.)

والأبيات السابقة على الرغم من أنها أبيات النص التأسيسى ، إلا أن الشاعر استطاع أن يعبر عما يجيش بصدره من خلالها ، فمدح الملك الذى أمر بالبناء وكذلك قدم البناء لوالدته ، وكما اعتاد الشعراء فى العصر الصفوى فقد مدح الممدوح بأكثر من صفة فى بيت واحد فهو ملك الدين ملاذ السلطنة ، سهيل الطلعة ، سعيد الحظ ، كما أنه لم ينس ملوك إيران القدماء فذكر جمشيد و أفريدون و بهرام و كيوان ، ليذكرنا بأمجاد الفرس وحضارتهم . وقد أوضح أيضاً من خلال الأبيات أن هذا الحمام من موقوفات الملك ،وجعل الأبيات سجلاً يحتوى على أسم الملك وما سبقه من ملوك ساهموا فى بناء الحضارة الفارسية .

وإذا قمنا بحساب جملة التأريخ وهى " محل وحجرهء اهل صفا ست اين حمام" وجدنا أنها = ١١١٧هـ ق ، فى حين العام الموجود فى النص نفسه هو١٠٥٥ هـ ق، أى أن هناك فرق عدة سنوات ولا نعرف ما سبب ذلك .

حمام مير ميران

ويقول وحشى بافقى فى بيت التأريخ لحمام مير ميران[1] :

– لما كان هو الفيض ولا ينفصل الفيض عنه، كان تاريخه حمام الفيض ٩٨٣[2].

وبحساب جملة التأريخ وهى " حمام با فيض " نجد أنها = ٩٨٣ هـ ق، وهو العام الذى أراده الشاعر .

وقد استطاع الشعراء من خلال شعر التأريخ تسجيل حضارة العصر وأهم خصائصها ، وكذلك مراحل الضعف والقوة للملوك ، وهو أمر غير مسبوق .

---

[1] – هو غياث الدين محمد مير ميران يزدى يرجع نسبه إلى شاه نعمت الله ولى من أحفاد أبنة الشاه إسماعيل الصفوى ، وقد كان حاكم ليزد فى عهد وحشى بافقى ، وقد مدحه كثيراً فى شعره (ديوان وحشى بافقى : المقدمة ص سى وپنج .)

[2] – چو با فيض است و زو نبود جدا فيض
طلب تاريخش از حمام با فيض
٩٨٣
(ديوان وحشى بافقى : ص٢٦٦.)

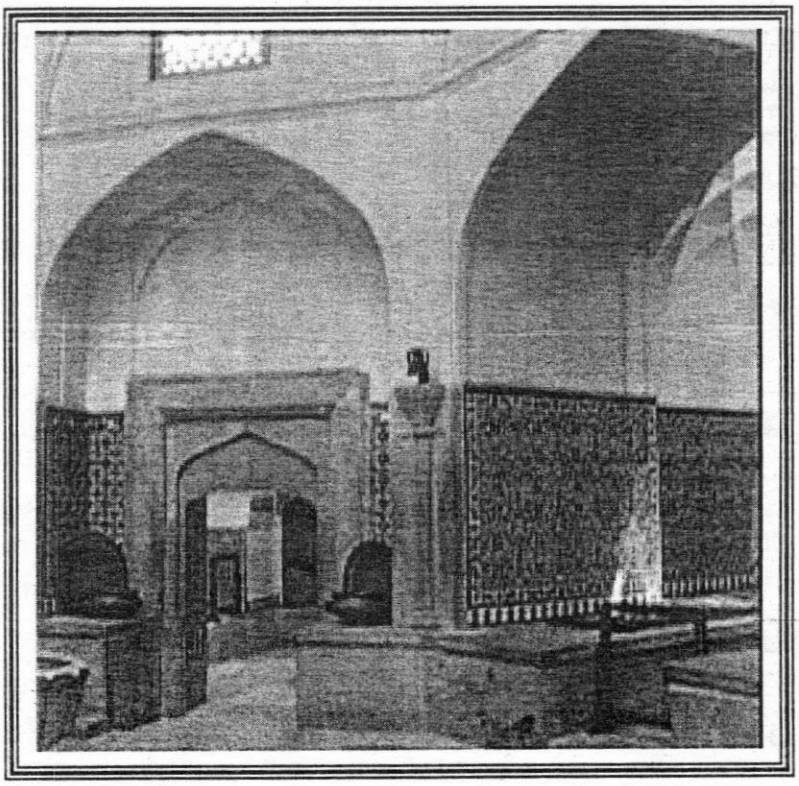

منظر داخلي للحمام من الداخل

الخاتمـــــة

يمكن أجمال النتائج التى توصل إليها البحث فيما يلى :

١- كان لشعراء العصر الصفوى السبق عن غيرهم فى نظـم منظومـات خاصة بالحمام، فالبحث يقدم ثلاثة منظومات لثلاثة شعراء من أعظـم شعراء العصر الصفوى وهم أبو طالب كليـم كاشـانى ، و وحشـى بافقى ، و ظهورى ترشيزى .

٢- استخدم الشعراء فى العصر الصفوى فن (شهر آشـوب) لوصـف الحمام ، والدلاك وأدواته ومعداته ، وقد أطلق البعض لقـب حمـامى على عامل الحمام ، وهناك أيضاً (حناتراش) الذى يخضب بالحنـا داخل الحمام ، فكان استخدامهم لهذا الفن استخداماً جيداً لاسـتقصاء الحمام وكل ما يتعلق به ، ومن أشهر الشعراء الذيـن برعـوا فـى استخدام هذا الفن " لسانى شيرازى " .

٣- برع الشعراء فى العصر الصفوى فى فن حساب الجمل ، وقد توصل البحث إلى أن أغلب أبيات هذا النوع كانت تنجح فـى حسـاب عـام الحدث بالشعر جيداً ، وشاعر واحد فقط من النماذج التـى توصلنـا إليها أخفق وهناك فرق فى عدد السنين بين النص التأسيسى و جملة التأريخ .

٤- ظهر التصوف بشكل جيد فى منظومات الشعراء عن الحمام .

والله ولى التوفيق

ثبت بأسماء الكتب والمراجع

أولاً الكتب الفارسية:

١-*أحمد گلچين معانى* : شهر آشوب در شعر فارسى ، تهران ١٣٤٦ هـ ش.

٢-احمد گلچين معانى : مكتب وقوع در شعر فارسى ، انتشارات بنياد فرهنگ ، إيران ،١٣٤٨هـ ش .

٣- إدوارد پولاك : ترجمة كيكاوس جهانداري :" سفر نامه پولاك ايران وايرنيان " ، ط٢ ، ١٣٦٨هـ ش .

٤- ايرج افشار سيستانى : خراسان ، تهران ، ١٣١٩ هـ ش.

٥- ايرج افشار : يادگارهاى يزد ، جلد اول ، ط تهران ، ١٣٤٨هـ ش.

٦- پرتو بيضائى : ديوان كليم كاشانى، ط كتابفروشى ، خيام ، ط٢، ١٣٦٩ هـ ش.

٧-حسن نراقى : آثار تاريخى شهر ستانهاى كاشان ونطنز ، سلسله انتشارات انجمن آثار ملى ٦٣، تهران.

٨- ذبيح الله صفا : تاريخ ادبيات درايران ، از آغاز سدهء دهم تا ميان سدهء دوازددهم هجرى ، جلد پنجم.

٩- طاهر شهابى : كليات أشعار ملك الشعراء طالب آملى ، تهران ، ١٣٤٦ هـ ش.

١٠- ظهورى ترشيزى : ديوان طبع حجر الهند ، ١٨٧٩م / ١٣١٥هـ ق.

١١- على اكبر دهخدا : لغتنامه دهخد ،تهران،ج١٣٣٤٦هـ ش .

١٢- على أكبر دهخدا : لغتنامه دهخدا ، ج ١٢، ط تهران ، ١٣٣٤ هـ ش.

١٣- على أكبر دهخدا : لغت نامه دهخدا ، شمارهء ، ٤٦، تهران ١٣٣٨هـ ش.

١٤- محمد حسن سيدان : ديوان وحشى بافقى ، تهران ، ط٤ ،١٣٧٧ هـ ش.

١٥- محمد معين : فرهنگ معين ، ج٥ ، أعلام ، تهران ، ١٣٧٨ هـ ش.

١٦- محمد كريم پرنيا : تدوين غلامحسين معماريان ، معمارى اسلام ، ط٣ ، تهران ، ١٣٧٤هـ ش.

١٧- نصر الله فلسفي : تاريخ القهوة والمقاهى فى إيران ، دكتر سيد محمد دامادى : فارسى عمومى ، ط٢، ١٣٧٤ هـ ش، تهران.

ثانياً المصادر العربية :

١- أحمد الخولى : من شعراء ايران الكبار وحشى بافقى ، ط١ القاهرة ، ١٩٧٨م.

٢- حسين مجيب المصري : بين الأدب العربي والفارسي والتركي ، مكتبة الانجلو المصرية، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م.

٣- شعبان ربيع طرطور : من أعلام الشعر والنثر الفارسي من الصفوى إلى الحديث القسم الأول ، ط سوهاج، ١٩٩٤م.

٤- عادل عبد المنعم سويلم : الاتجاهات العقائدية والفكرية في العصر الصفوى وأثرها على الفنون الإسلامية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٤م

٥- محمد السعيد عبد المؤمن : الأدب في العصر الصفوى ، القاهرة ، ١٩٨٤.

٦- محمد اليعلاوى : حساب الجمل والتأريخ بالحروف، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثامن ، تونس ، ١٩٧١م.

٧- محمد بن فهد الفعر : التأريخ بحساب الجمل ، مجلة الدارة ، العدد الرابع السنة الحادية والعشرون ، رمضان/ السعودية، ١٤١٦ هـ.